

تداولية أفعال الكلام في الخطاب الحوارى لجعفر والنجاشى "مقاربة نصية تداولية"

سحر عبدالهادى حجازى محمد

باحثة ماجستير

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية وآدابها

Sahara_1408@hotmail.com

الملخص

يتناول موضوع هذا البحث (تداولية أفعال الكلام فى الخطاب الحوارى لجعفر والنجاشى) تناوياً تحليلياً إجرائياً يهدف إلى قراءة النص قراءة تداولية، تُعنى ابتداءً بتقديم المفاهيم والتصورات النظرية لآليات العمل التطبيقية ومجرباته؛ لوضع اليد على الفعل الكلامى الشامل والأساسى، ومعرفة ما انبثق عنه من أفعال كلامية أخرى تحمل أغراضاً إنجازية متباينة ومتغايرة؛ لتحقيق الوظيفة التواصلية الإجمالية النصية بصورة ناجعة فى ضوء المنهج التداولى بدرجته الثالثة؛ والمتعلقة بنظرية الأفعال الكلامية وفق منظور سيرل الذى يعمل كألة للنفاد إلى أعماق النص، والإمساك بدلالاته الظاهرة والخفية الكامنة فى النص، وقد تبين أن الأفعال الكلامية تعمل بصورة متأزرة ومتضافرة لضمان إنجاز الوظيفة التواصلية الإجمالية فى النص، أما الفعل الكلامى الأساسى فقد ارتبط بلب الموضوع وجوهره؛ فجاء مختصاً بالذات المحورية السلطوية المحركة لمجريات الأحداث؛ والمتمثل فى تسليم المهاجرين إلى قرىش أو رفض ذلك، وغرضه الإنجازى هو رغبة النجاشى الصادقة فى إعلاء صوت الحق، وإزالة صوت الباطل.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، جعفر، النجاشى.

Abstract

The topic of the research (The deliberation of speech acts in the dialogue discourse of Jaafar and Negus) deals with an analytical and procedural approach aims to read the text, a deliberative reading, which is meant at first, presenting theoretical perceptions and conceptions of the applied mechanisms of action and its processes, to put a hand on the comprehensive and basic speech act and other speech acts emanate from it, carrying different and heterogeneous accomplishing purposes; To effectively achieve the overall textual communicative function in the light of the third degree deliberative approach; And related to the theory of speech acts according to Searle's perspective, who works as a machine to penetrate into the depths of the text, and to grasp its apparent and hidden connotations inherent in the text; Speech acts work synergistically and Collaboratively to ensure the success of the overall communicative function of the text. The basic speech act was connected to the core and essence of the topic; It was concerned with the central, authoritarian entity that drives the course of events; The immigrant hand over to the Quraysh or refused to do so. The performance purpose of the basic speech act is manifested in Negus' sincere desire to raise the voice of truth, and remove the voice of falsehood.

keywords: *Speech Act, Jaafar, Negus*

المقدمة:

تعد التداولية أحد أهم الاتجاهات النقدية اللسانية الحديثة التي شددت أنظار الباحثين في مجالات شتى، وقد ظهرت ردًا على التوجهات اللسانية السابقة؛ كالبنوية، والتوليدية التحولية؛ فالأولى عدت اللغة بنية مغلقة على ذاتها، وانغمست في التحليل الصوري لها؛ انطلاقًا من ثنائية (اللغة، والكلام)، فأهملت المعنى العام، وأقصت الكلام الذي يعد الاستعمال الحقيقي للنسق اللغوي؛ أما الثانية فقد صرفت الاهتمام إلى الكفاءة، وأهملت الأداء، فنشأت التداولية لتعيد الاعتبار إلى ما أهملته البنوية والتوليدية من خلال دراسة اللغة في حالة الاستعمال، ودراسة الضوابط التي تحكم هذا الاستعمال، ودور المقام في التواصل الإنساني، والعلاقة بين المتكلم والسامع، وما يرافق الكلام من حركات الجسم، وتعبيرات الوجه، وكل من يشارك في الاتصال اللغوي، وبيئة الحدث، وقدرة السامع على فهم مقاصد المتكلم، ومدى استجابته لها، وما يتطلبه التواصل من معانٍ مقامية (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٥٧)؛ فجميع العناصر اللغوية وغير اللغوية تعد مقياسًا مهمًا في الكشف عن حقائق ومعانٍ جوهرية في النص. والمتتبع للاتجاهات التداولية يرى أن نظرية الأفعال الكلامية هي المحور الأهم من محاور التداولية الأخرى نحو متضمنات القول، والاستلزام الحوارية، والإشارات، والحجاج؛ فالتداولية بمعناها الشامل والواسع هي "دراسة الفعل الإنساني القسدي؛ وعليه فإنها تنطوي على تفسير أفعال يفترض القيام بها لإنجاز غرض معين" (بول، ٢٠١٠، صفحة ١٣٧)؛ فهي تعمل على الربط بين القول والفعل المتضمن في القول؛ أي: إن الأقوال تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية متنوعة.

والفعل الكلامي يعد ركيزة مهمة في الدراسات اللسانية النصية عمومًا، فهو يؤكد على أشياء، أو يُعطي أوامر، أو يُثير أسئلة، أو يقوم بوعود، أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تركز على تأويل النصوص باعتبارها أفعالًا للغة (بوكرة، ٢٠٠٣، صفحة ١٨٩)؛ أو بوصف النص سلسلة متتابعة من أفعال اللسان؛ كالوعود، والتهديدات، والأسئلة، والمطالب...، فالباث ينجز فعلًا لسانيًا إذا عبّر بجملة أو بعدة جمل في سياق ملائم لها، ومحقق للشروط الخاصة بالفعل الكلامي، ومن ثمَّ يمكن تحليل النص في سياقه التداولي على أساس أنه متوالية من الأفعال الكلامية مثل ما هو متوالية من الجمل؛ إذ لا بد على كل فعل من هذه الأفعال أن يكون مؤولًا إزاء أفعال تسبقه، مع التركيز في التداولية النصية على تحديد الوظيفة الإجمالية للنص (عياشي، ٢٠٠٤، الصفحات ١٧١ - ١٨٥)؛ فالنص تداوليًا عبارة عن "سلسلة من الأفعال اللغوية المتعلقة ببعضها ببعض على أساس بنية هرمية بحيث يمكن تعيين فعل لغوي أساسي للنص ككل" (صكوجي، ٢٠٠٨، صفحة ٦٢). من هنا تبرز أهمية هذه النظرية من حيث قدرتها على تخطي القراءات اللغوية الكلاسيكية؛ والتي كانت تغلو في وصف الظواهر اللغوية وصفًا شكليًا تُعنى أكثر بالبعد العملي المؤثر لها.

اهمية البحث:

من هذا المنطلق تتجلى أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى استنطاق المعاني الحقيقية الظاهرة والكامنة في النص المعالج باعتبار أن النص سلسلة من الأفعال اللغوية المنبثقة عن فعل أساسي يحمل في ثناياه وظيفة تواصلية إجمالية تنكئ على اللغة وعلى العناصر الفاعلة في الخطاب؛ كالقصد، والمقام، والمتكلمين، والسياق...، وقد وقع الاختيار على المدونة الخطابية لجعفر بن أبي طالب والنجاشي في أحداث الهجرة الثانية إلى الحبشة؛ لما تمتاز به من بنية حوارية قائمة على أطراف مختلفة تتبادل فيها الأدوار، بحيث يصبح المتكلم متلقيًا، والمتلقي متكلمًا؛ مما يسمح بتوليد الأفعال الكلامية بشكل مكثف ومتغير؛ بالإضافة إلى ما اشتملت عليه من تجلية لمبادئ الإسلام وأركانه، وتبيان للسلوكيات الرفيعة، والقيم الأخلاقية العظيمة التي مثلت الدين الإسلامي خير تمثيل، وقد اعتمد البحث على الرواية المذكورة في كتاب سيرة ابن هشام لشهرتها، وكثرة انتشارها بين الدارسين.

مشكلة البحث:

أما إشكالية البحث فهي تتمثل في كيفية وضع اليد على الفعل الكلامي الأساسي للنص ككل، ومعرفة الأفعال الأخرى المتفرعة عنه؛ لاستكناه المعاني الكامنة في النص بصورة تداولية؛ لذا يفترض البحث أن الفعل الكلامي الأساسي موجود في البنية الخطابية، وينبغي إبراز هذا الوجود وتبيان أثره في إنجاز الأفعال الكلامية المتفرعة عنه، واستجلاء دوره في تحقيق مقاصد المتكلمين، ومن ثم إنجاز الأبعاد التأثيرية على المتلقين بصورة ناجحة؛ على غرار هذا سيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أسئلة الدراسة:

١- ما آلية عمل الأفعال الكلامية؟

٢- ما الفعل الكلامي الأساسي في النص الحوارية؟

٣- ما الغرض الإنجازي العام للفعل الكلامي الأساسي؟

٤- ما الأبعاد التأثيرية الناتجة عن إنجاز متواليات الأفعال اللغوية في البنية الخطابية؟

تأسيسًا على السابق يهدف البحث إلى اختبار فرضيته المذكورة، والإجابة عن تساؤلاته المطروحة من خلال قراءة الخطاب الحوارية قراءه تداولية، تُعنى ابتداءً بتقديم المفاهيم والتصورات النظرية لآليات العمل التطبيقية ومجرياته لتوظيفها في تحليل النص في ضوء المنهج التداولي بدرجته الثالثة؛ والمتعلقة بنظرية الأفعال اللغوية (بوقرة، ٢٠٠٩، صفحة ١٨٥) وفق منظور سيرل الذي يعمل كآلة للنفاد إلى أعماق النص، والإسك بدلالاته الظاهرة والخفية، واستجلاء بواطنه، والكشف عن معانيه الساكنة للخروج بجملته من النتائج المرجوة جراء الالتزام بآليات المنهج وإجراءاته، فيحقق البحث بذلك غايته المنشودة؛ وعليه فقد قسم البحث إلى مبحثين اثنين مكملين لبعضهما البعض على النحو الآتي:

المفاهيم و التصورات النظرية:

المبحث الأول: التعريف بنظرية الأفعال الكلامية.

المبحث الثاني: تداولية الأفعال الكلامية في الخطاب الحوارى لجعفر والنجاشي.

المبحث الأول

التعريف بنظرية الأفعال الكلامية

استمدت نظرية الأفعال الكلامية أسسها من الاتجاه الفلسفي التحليلي للغة اليومية، ورائدها الفيلسوف النمساوي الأصل لودغ فيتغنشتاين (Wittgenstein)، الذي اتخذ من اللغة -في حالة الاستعمال- موضوعاً لنشاطه العلمي، ثم استثمر فلاسفة أكسفورد لا سيما (أوستين J.L.Austin، وسيرل J.R.Searle) تلك الأفكار في صياغتهما لنظرية الأفعال الكلامية (صحراوي، 2005، الصفحات 23-24)؛ وبناء على ما سبق فقد مرت هذه النظرية بمرحلتين اثنتين هما:

□ أولاً: مرحلة الظهور، والتأسيس، والنشأة

تطالعنا في هذه المرحلة الجهود التأسيسية التي وضع قوامها الفيلسوف اللغوي أوستين في كتابه المسمى (كيف نعمل الأشياء بالكلمات (How to do things with words))، وأصل هذا الكتاب جملة من المحاضرات ألقاها في جامعة أكسفورد، ثم نُقحت في جامعة هارفارد، وجمعت بعد وفاته (توماس، 1431، صفحة ٤٥)، وفيه يبدي رفضه للصوت القائل بأن وظيفة اللغة هي التبليغ، أو وصف الواقع صدقاً كان أو كذباً، وأن كل الملفوظات التقريرية تخضع لمعيار التصويب (بوخشة، 2020، صفحة 120) وهي على النقيض من ذلك؛ مما جعله يعلن عن مصطلح المغالطة الوصفية (الإيهام الوصفي)، فانطلق من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل التقريرية لا تصف أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ومن ثم لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع؛ بل لتغييره (موشلار و روبول، ٢٠٠٣، صفحة ٣٠) فقولك مثلاً: نعم، قبلت (تقال في مناسبات الزواج مثلاً)، وأعدك بأنني سأسافر، هي ملفوظات لا يمكن أن تقع إلا تحت مقولة التقرير؛ ولكنها لا تصف، ولا تنقل أي شيء، ولا تخضع لمعيار التصويب، وأن التلطف بها إنجاز لعمل ما؛ فالعبارة الأولى مثلاً، أقبل هذه المرأة زوجة لي، ليست نقلاً أو وصفاً لحدث الزواج؛ وإنما هي زواج بالفعل (أدواي، ٢٠١١، صفحة ٨٠)؛ فالوظيفة الأساسية للغة- حسب أوستين- تكمن في أنها " مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية" (بلخير، ٢٠١٣، صفحة ١٤٥)؛ وعليه فقد ميز أوستين في هذه المرحلة بين نوعين من الأفعال اللغوية هما:

١- أفعال تقريرية، أو إخبارية، تحتمل الصدق والكذب حسب مطابقتها للواقع.

٢- أفعال أدائية، أو إنجازية، أو إنشائية، لا تحتمل الصدق والكذب؛ لكنها تنجز أفعالاً بمجرد النطق بها؛ نحو، التسمية، الوصية، الاعتذار، النصح... (أوستين، ١٩٩١، الصفحات ١٦-١٧).

ثم وضع أوستين جملة من الشروط الخاصة بنجاح الفعل الإنجازي إذا اختل أحدها ينسب إليه صفة الإخفاق، وعدم النجاح، وتتعلق هذه الشروط بتوفر مجموعة من عناصر السياق، والعوامل التي ترتبط بالحالة النفسية للمتخاطبين، وبقدرتهم على تحقيق ما يتلفظون به، وكذلك الأنساق القانونية التي تسمح بتحقيق الأفعال دون أخرى (بلخير، ٢٠٠٧، صفحة ٧٠)، وقد وزعها أوستين على نوعين هما:

١- **الشروط التكوينية**، وهي الشروط الأساسية التي تعمل على نجاح الفعل الأدائي.

٢- **الشروط القياسية**، وهي شروط ثانوية لا تعمل على نجاح الفعل الأدائي؛ وإنما تعد مكملة ومتممة للشروط التكوينية، وبتحققها يكون الفعل قد أنجز بصورة مثالية خالية من العيوب والإساءات (بوقرة، ٢٠٠٩، صفحة ١٨٦)؛ ولكن أوستين لم يرتض هذا التقسيم بسبب وجود أفعال تنطبق عليها الشروط الأدائية؛ ولكنها ليست منها. وفي المقابل يوجد كثير من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة أدائية (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٤٥)؛ لذلك ألفيناه في مرحلة تالية من تطور النظرية يعيد تقسيم الأفعال حسب بنية الفعل الكلامي الذي يتكون من ثلاثة أفعال مترامنة بالترتيب الآتي:

١- **فعل القول (أو الفعل اللغوي)**، يتمثل في الصوت الذي يصدره المتكلم حين يتلفظ بالجملة، ويضم المستويات اللغوية المعهودة، ويطلق عليها أفعال: (الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي):

٢- **الفعل المتضمن في القول**، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي؛ إذ إنه عمل يُنجزُ بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال هو المقصود من النظرية برمتها، ويتمثل في إصدار ألفاظ: (الوعد، أو الترحيب، أو التحذير... الخ).

٣- **الفعل الناتج عن القول أو (الفعل التأثيري)**، وهي الأفعال التي تُحدثُ أثرًا عند المتلقي، فقد يكون في صورة تخويف المخاطب، أو إزعاجه، أو إقناعه... وغير ذلك (صحراوي، 2005، الصفحات ٤١-٤٢).

إن الفعل الكلامي في أبسط تعاريفه هو "فعل ينجز عبر استعمال لفظ لغرض التواصل" (بول، ٢٠١٠، صفحة ١٩٧)، وبالنظر إلى بنيته فهو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطاً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي؛ وعليه فهو فعل يطمح أن يكون فعلاً تأثيرياً في المخاطب لإنجاز شيء ما" (صحراوي، 2005، صفحة ٣٠) بهذا التقسيم يكون أوستين قد ابتعد عن التمييز بين الجمل الإنشائية والجمل التقريرية، واقترب من مفهوم العمل المتضمن في القول.

ثم ذهب أوستين إلى تجميع وتصنيف الأفعال اللغوية حسب المعنى الوظيفي لها في خمس فئات هي، الحكمية، والنمرسية، والتكليف، والسلوكيات، والعرضية (أرمينكو، ١٤٣١، صفحة ٦٢)، وهذا التقسيم لم يكن أسعد حظاً من التقسيمات السابقة؛ إذ نجده يُقرّ ويعترف بأنه غير راضٍ عنه بسبب التداخل والخلط الحاصل بينها (أوستين، ١٩٩١، صفحة ١٧٥). ومما أخذ على أوستين أنه كان "لا يصنف أعمالاً؛ بل يصنف أفعالاً" (بلانشيه، ٢٠٠٧، صفحة ٦٣)، كما أنه لم يركز على معايير واضحة أثناء التقسيم؛ مما جعل تصنيفه غير قابل للتعميم الكوني بين اللغات؛ بسبب ذلك أكمل سيرل ما بدأه أستاذه أوستين من أفكار وملاحظات، فاتخذ من الفعل الإنجازي محوراً أساسياً في اقتراح تصنيفات أخرى للأفعال الكلامية بالاستناد إلى مبادئ ومعايير واضحة.

□ ثانيًا: مرحلة النضج والضبط المنهجي

ينطلق سيرل في تطويره للنظرية من مقولة فلسفية تتمثل في: (القول هو العمل)، فالقول في نظره شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه القواعد (الجيلالي، صفحة ٥٢)؛ فكل جملة تُحقق عملاً لغويًا عند قولها في مقام مخاطب، وكل عمل لغوي يقتضي جملة أو أكثر ليتحقق (المبخوت، ٢٠١٠، صفحة ٤٦)؛ فالفعل الكلامي - حسب سيرل - هو " أصغر وحدة لاتصال إنساني يمارس بها المتكلم فعلاً تجاه السامع" (كريمير، ٢٠١١، صفحة ٨٩)، وأن للقوة الإنجازية دليلاً أطلق عليه دليل القوة الإنجازية يعمل على توضيح نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بمجرد نطقه للجملة (الصراف، ٢٠١٠، صفحة ٥١)؛ فقسم الفعل الكلامي حسب بنيته إلى أربعة أقسام: (فعل القول، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، وفعل التأثير) (الجيلالي، صفحة ٢٥)، بحيث أبقى الفعل الإنجازي والفعل التأثيري على حالتها دون تغيير يذكر؛ لكنه يرى أن هذا الأخير ليس له أهمية للسامع في إنجاز الفعل. ثم قسم الأفعال الكلامية حسب معناها الوظيفي، معتمداً في ذلك على اثني عشر مبدأ، تكشف عن الاختلاف بين فعل إنجازي وآخر؛ مما جعل هذه التقسيمات تنسم بالدقة والانضباط، فسدّ بواسطتها الفجوات التي وقع فيها أستاذه من قبل، فجاء التصنيف الخماسي للأفعال الكلامية كالتالي:

١- **الإخباريات:** تهدف إلى تبليغ خبر أو وصف واقعة معينة بواسطة قضية ما تعبر عن هذه الواقعة، وتمتاز أفعال هذا الصنف بخضوعها لمعيار التصويب، فهي تعمل على تقديم القضية بوصفها تمثيلاً لحالة موجودة في العالم، وغايتها الكلامية هي التعهد للمستمع بصدق القضية (سيرل، ٢٠١١، صفحة ١٨٣)، وغرضها الإنجازي العام هو التقرير، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم؛ وشرط الإخلاص يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير عنها بصدق (الصراف، ٢٠١٠، صفحة ٦١).

٢- **التوجيهات (الأمرات):** وغرضها الإنجازي يكمن في محاولة المتكلم توجيه سامعه إلى فعل شيء ما (لانج، ٢٠١٢، صفحة ٨٨)، أو التأثير عليه ليفعل شيئاً ما؛ ومن الجائز أن تكون محاولات لينة جداً، أو عنيفة جداً (عبدالحق، ١٩٩٣، صفحة ٢٣٣). واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات والوقائع، والحالة النفسية المعبر عنها هي رغبة المتكلم في أن ينفذ المستمع الفعل المذكور (لانج، ٢٠١٢، صفحة ٨٨). وشرط الإخلاص يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف الأمر، والنصح، والاستعطاف، والتشجيع (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٥٠)؛ والتوجيهات تخلق أسباباً للمخاطب كي يؤدي المطلوب منه (الطبطيني، ١٩٩٤، صفحة ٣١).

٣- **الالتزاميات (الوعديات):** وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بأن يتعهد بسلوك الفعل الممثل في المضمون القضوي، واتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، ويضم أفعال الوعود، والتعهدات، والتعاقدات، والضمانات، والتهديد؛ وهذا الأخير يختلف عن بقية الأمثلة بأنه يأتي مضاداً لاهتمام السامع، وليس لمنفعته (سيرل، ٢٠١١، الصفحات ١٨٣-١٨٤).

٤- **التعبيريات (البوحيات):** هي " الأفعال التي يعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية تجاه أشياء محددة، أو شخص ما، أو شيء بعينه، أو موضوع، أو فكرة" (الصراف، ٢٠١٠، صفحة ٢١٢)؛ فالغرض الإنجازي يكمن في التعبير عن موقف نفسي معين من المحتوى القضوي (لانج، ٢٠١٢، صفحة ٨٨)، وليس من اللازم أن يقتصر

التأثير على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث؛ بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتضم أفعال الشكر، والاعتذار، والتهنئة... (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ١٠٤)، وليس لهذا النوع اتجاه مطابقة؛ لأنه لا توجد واقعة تشعر بالامتنان مثلاً، أو صدق القضية؛ وإنما تأتي بداهة مع الفعل الكلامي (لانج، ٢٠١٢، صفحة ٨٩).

٥- **الإعلانات (التصريحيات):** وهي الأفعال "التي يعلم المتكلم من خلالها ما ينبغي أن تكون الحال في إطار مؤسسي معين" (لانج، ٢٠١٢، صفحة ٩٢)، ويشترط لنجاح الفعل الإنجازي الإعلان وجود عرف غير لغوي؛ أي: مؤسسة خارج اللغة؛ كالشريعة الإسلامية، والكنيسة، والدستور، والدولة... الخ (الصراف، ٢٠١٠، صفحة ٢٠٨)؛ واتجاه المطابقة فيها مزدوج؛ أي: من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم (سيرل، ٢٠١١، صفحة ١٨٤).

ومن الأشياء التطورية التي وضعها سيرل - أيضاً- ما قدمه من شروط إضافية تختص بنجاح الفعل الكلامي؛ كالمحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، والشرط الأساسي، وشرط الإخلاص (النجار، ٢٠١٣، صفحة ٤٨)، كما أنه أضاف تقسيماً آخر للأفعال اللغوية حسب دلالتها على القوة الإنجازية فقسّمها إلى قسمين اثنين:

١- **أفعال إنجازية مباشرة،** وهي "التي يتلفظ بها المرسل في خطابه وهو يعني حرفياً ما يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً على المرسل إليه، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج" (الشهري، ٢٠٠٣، صفحة ١٣٥).

٢- **أفعال إنجازية غير مباشرة،** وهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم؛ ومن دوافع استخدامها التأدب في الحديث (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٨١)، ولا يمكن التوصل إلى معانيها إلا عن طريق الفهم الدقيق، وتوظيف مهارة العمليات الذهنية التي تتفاوت بين البساطة والتركيب (قدور، ٢٠١٤-٢٠١٥، صفحة ٤٠)، ومثالها الشهير: هل تستطيع أن تناولني الملح؟ فهي عبارة ظاهرها الاستفهام، والمراد منها الطلب وتمكين المتلقي منه (بلانشيه، ٢٠٠٧، صفحة ٦٨)؛ فالمفوضات - حسب سيرل- عمل اجتماعي مؤسساتي يعتمد بالدرجة الأولى- على مقاصد المتكلمين الظاهرة والخفية.

المبحث الثاني

تداولية الأفعال الكلامية في الخطاب الحواري بين جعفر والنجاشي

إن فهم الرسالة بالاعتماد على علاماتها اللغوية فحسب يعد فهمًا ناقصًا وغير مكتمل الأطوار؛ إذ لا بد من الاستعانة بالمقام الذي يعمل -بالدرجة الأولى- على إبراز مقصدية المتكلم في سياقه اللغوي؛ "فالفعل الكلامي لا يتحقق دائمًا بالصيغة الموضوعية له، والسبب في ذلك يعود إلى تدخل عناصر من سياقات الأنماط الأخرى" (بلخير، ٢٠١٣، صفحة ١٣)؛ حيث تعين هذه السياقات على مطابقة الفعل الكلامي مع ما يناسبه مقامًا للوصول إلى المعنى التداولي وصولًا مكتملاً؛ لذا كان لزامًا على البحث قبل الشروع في التحليل أن يلقي لمحة خاطفة حول السياق المقامي للخطاب الحواري بين جعفر والنجاشي الذي يتلخص في الآتي:

عندما اشتد أذى مشركي قريش على المسلمين أشار الرسول ﷺ - إلى بعض من أصحابه، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب بالهجرة إلى الحبشة، فقال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٢١ / ج ١)، فعندما نزلوا بأرض الحبشة وجدوا حسن الجوار من ملكهم النجاشي، فأمنهم على دينهم وأنفسهم، فلما بلغ ذلك قريشًا اتتمروا عليهم، فأرسلوا إلى النجاشي وبطارقته رسولين هما عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة، وكانا محمّلين بالهدايا لإغرائهم والتأثير عليهم بقصد استرداد المسلمين المهاجرين إلى مكة؛ شريطة ألا يمنح المهاجرين فرصة التبرير والخوض معهم في الحديث؛ ولكن النجاشي خيب ظنهم فأبى تسليمهم حتى يستمع إليهم؛ فجاءت البنية الخطابية مؤسسة على حوار قائم بين ثلاثة أطراف: النجاشي، وجعفر بن أبي طالب، ورسولي قريش، تتبادل فيه الأدوار بحيث يصبح المتكلم متلقيًا، والمتلقي متكلمًا؛ مما يسمح بتوليد الأفعال الكلامية وتداولها بدرجة عالية؛ ولأنه من الصعب الفصل بين الأفعال اللغوية لارتباط تأويل كل فعل بالفعل الذي يسبقه أثر البحث تقسيم النص بحسب أطراف الحوار.

□ البنية الحوارية الأولى: رسولا قريش والنجاشي وبطارقته

حين وصل رسولا قريش إلى أرض الحبشة ودفعوا هداياهم إلى البطارقة والنجاشي قالوا: "أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيًّا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه... فقالت بطارقته حوله: "صدقًا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيًّا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلّمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم. قالت-أم سلمة-: فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقولان هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنن جوارهم ما جاوروني، قالت: "ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ - فدعاهم" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦١ / ج ١).

جدول 1: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الأولى.

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
أيها الملك	المناداة	توجيهي طلبي ندائي للتنبية	————
إنه قد صوى إلى بلدك... وعشائهم	وصف المهاجرين	إخباري وصفي، يتضمن معنى التحذير	————
لتردهم إلينا	المطالبة بإرجاع المهاجرين إلى مكة	توجيهي طلبي أمري	تصديق البطارقة وغضب النجاشي
لا أسلمهم إليهما ولا أكاد	رفض إنجاز فعل التسليم	إخباري تقريري	————
قوم جاوروني ... ما جاوروني.	تبرير رفضه، وتحري العدل.	إخباري توضيحي، خرج إلى معنى الالتزام والتعهد	————

يتضح من الجدول أعلاه أن رسولي قريش لم يكتفيا بالرشوة المادية؛ وإنما لجأ إلى توظيف عدد من الأفعال الكلامية المختلفة لبلوغ غايتهم، والوصول إلى هدفهم المقصود؛ وأول ما يطالعنا من تلك الأفعال الفعل التوجيهي الندائي؛ بقصد تنبيه المرسل إليه، فالنداء "يحقر المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل" (الشهري، ٢٠٠٣، صفحة ٣٦٠)، وغالبًا ما يأتي النداء مصاحبًا لفعل إنجازي آخر في السياق اللغوي لتقوية العلاقة بينهما، فعمرو يريد أن يلفت انتباه النجاشي لإنجاز فعله الإخباري الذي يصف فيه المهاجرين النازلين في أرض الحبشة بصورة دونية تنافي وتناقض الحقيقة والواقع؛ فنعنتهم بأنهم غلمان سفهاء، تجاوزوا حدودهم، وتمردوا على قومهم، فخرجوا من ديارهم، وفارقوا دينهم، وأتوا بدين غريب لا وجود له؛ وقد استقى قوته الإنجازية من واو الجمع الذي أحال إحالة مرجعية إلى مجموعة من الأفعال السيئة التي أسندت إليه بغرض تشويه صورة المهاجرين أمام النجاشي وبطارقته، وذلك تمهيدًا لتحقيق الفعل الإنجازي الكلي المقصود.

وما يلاحظ على هذه الأفعال الوصفية أنها وردت تارة بجمل مثبتة ومؤكدة ب (إن، وقد) لتكون أقوى في إنجاز فعل الوصف والإيضاح، وتارة بجمل منفية ليستثيرا حفيظة النجاشي ومن معه، فهما يعلمان جيدًا أنه رجل صاحب دين وكتاب، وهذا يفضي إلى تضليل الملك وإيهامه، ومن ثمَّ تحقيق البعد التأثيري المطلوب؛ علاوة على ما تحمله تلك الأفعال الإخبارية من وصف، وتوكيد، وإيضاح، فقد تضمنت معنى خفي يتمثل في الإثارة والتحذير، فعمرو يوجه رسالة ضمنية تصب في مصلحة المتلقي بأخذ الحيطه والحذر من مكوث المهاجرين على أرضه،

لكونهم فتية سفهاء متمردين على دينهم وقومهم، وأن هذا سيشكل فسادًا وخطرًا عظيمًا على ملكه؛ بقصد إثارة المتلقي وتخوفه، فمعروف أن الملوك يخافون على ملكهم خوفًا جمًّا؛ مما يدفع النجاشي إلى القلق والتوتر، ومن ثمَّ تحقيق ما يريدانه منه بتهور واندفاع.

ويتضح من هذه المقدمة الإخبارية دهاء رسولي قريش وذكائهما في رسم مكيدة مقننة ومحكمة للإيقاع بالمسلمين قبل توجيه الفعل الرئيسي إلى المتلقي، فبدأ بتقديم الرشاوي بغرض تغيير المبادئ السليمة، وكسر القيم الرفيعة؛ فالمادة رشوة جيدة بيد أنها كفيل فاشل لأصحاب المبادئ الثابتة، ثم لتعصيد ذلك ذهباً إلى التلاعب في الإعدادات الذهنية للمتلقي من خلال بث الافتراءات، والتقليل من شأن الآخرين، فيستطيعان بذلك تقديم فعلهم التوجيهي بنفس مطمئنة ومتيقنة من تأثيرهم القوي على النجاشي، فيضمنان بذلك إنجاز فعلهم الأمري ومضمونه ردَّ المهاجرين إلى قريش، وقد استمد قوته الإنجازية من المنفعة العائدة إلى رسولي قريش، ومن الضمير المسند إلى الفعل والدال على التحقير ليقفل من شأن المهاجرين، ومسوغهما في ذلك أن قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه؛ هذا الفعل الأساسي ترتب عليه جملة من الوقائع والأحداث والتي أنجزت بأفعال كلامية متغايرة ومتنوعة؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هل نجحت متواليات الأفعال الكلامية القرشية في إنجاز ما يريدون؟

نجحت الأفعال اللغوية القرشية - بالإضافة إلى الهدايا المقدمة- من جانب، وأخفقت من جانب آخر؛ فقد تمكنا من التأثير بشكل إيجابي على البطارقة، وجعل شهادتهم في صالح قريش؛ أما النجاشي فلا، فقد رفض إنجاز فعل التسليم حتى يتحقق من صدق قولهما ومدى مطابقته للواقع، كما أنه لم يأبه برأي البطارقة؛ بل على النقيض من ذلك، فقد تأثر برأيهم تأثرًا سلبيًا، ففي حكاية أم سلمة: "غضب النجاشي"؛ هذا الفعل التعبيري التأثيري تجاه القضية دعاه إلى إصدار عدد من الأفعال الإخبارية التوجيهية السلطوية، في طليعتها التوجيه الاعتراضي إلى رسولي قريش وبطارقته دون مبالاة، وقد استقى قوته الإنجازية من القسم، وسلطة المتلقي ومكانته، فاشتراط عليهما قبل إنجاز فعل التسليم إحضار المهاجرين والاستماع إليهم، فتحقق شرط الإخلاص وهو إرادة النجاشي ورغبته الصادقة في معرفة الحق، فكما سمع من الحاضرين ينبغي أن يسمع من الغائبين، وهذا منتهى العدل، ولا عجب فقد وصفه من قبل رسولنا الكريم بذلك.

ثم ربط الباحث بين أفعاله الكلامية السابقة واللاحقة بعلاقة سببية لتحفيز الإنجاز الكلامي وتقويته، فأبان عن سبب ذلك بأفعال إخبارية مؤكدة بالأداة (إن)؛ ليوضح لهم أن ما فعله المهاجرون من ترك الوطن، والالتجاء، والمجاورة، والإيثار، تقتضي منه استدعاهم والاستماع إليهم، وهذا يحمل معنى ضمنيًا يكمن في إلزام المتكلم نفسه بتحري العدل، وعدم التسرع في الحكم حتى يتثبت من صحة ما نقل عنهم؛ لذا أرسل رسوله إلى المهاجرين لإنجاز ما قصد إليه من إظهار الحق، وإخفاء الباطل.

□ البنية الحوارية الثانية: المواجهة بين النجاشي وجعفر

لما بلغ ذلك المسلمين المهاجرين اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم على تقديم المحتوى القضوي بقوة إنجارية عالية لدحض حجة العدو وقطعها، فاستقر الرأي على ذكر مبادئ الإسلام مع تحري الأمانة في النقل، والصدق في القول غير مباليين بالنتائج؛ لأن هدفهم الأسمى هو الحفاظ على الدين الإسلامي؛ ومن هنا يتبين الفرق بين متوالية الأفعال الكلامية لرسولي قريش والمهاجرين من حيث اتجاه المطابقة، وتوفر شرط الإخلاص، ومدى تأثيرهما على نجاح الفعل الكلامي أو إخفاقه.

تقول أم سلمة: " فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج ١).

عندما بدأت المواجهة بين النجاشي وأساقفته، والمسلمين المهاجرين، وجّه النجاشي فعلاً سلطويًا استفهاميًا لتوجيه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عنه، ومن ثم فإن المرسل يستعمله للسيطرة على مجريات الأحداث؛ بالإضافة إلى السيطرة على ذهن المتلقي وتسيير الخطاب حسبما يريد هو لا ما يريده الآخرون (الشهري، ٢٠٠٣، صفحة ٣٥٢)، فتتجلى له معرفة حقيقة الدين الذي اعتنقه المهاجرون وتركوا من أجله كل الأديان. فكان الذي تحدث جعفر بن أبي طالب، فاستطاع أن يقدم خطاباً مؤثراً وموجزاً وشاملاً لعدة أخلاقيات تتناسب مع طبيعة النجاشي الدينية ليرد بها كيد قريش، ويدحض مؤامرتهم.

وما يلفت الانتباه في هذا المقام أن جعفرًا لم يقدم إجابة صريحة لسائله؛ كأن يقول مثلاً: الدين الإسلامي ويصمت؛ وإنما عمد إلى اختيار مجموعة من الأفعال الكلامية التي تحمل قوة إنجارية عالية تتناسب مع السياق الموقفي لتكون أشد تأثيرًا على النجاشي من افتراءات قريش وهداياهم، وقد تضمنت هذه الأفعال بيان مجموعة من الحقائق وصفًا، وتوكيدًا، وتقديرًا، ويمكن تصنيفها إلى خمسة محاور حسب محتواها القضوي على النحو الآتي:

المحور الأول: طبيعة المبادئ جاهلية

يقول جعفر: " أيها الملك: كُنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج١).
جدول 2: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الأول).

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
أيها الملك	المناداة	توجيهي طلبي ندائي، يحمل معنى الإقرار والتعظيم	_____
كنا قوم...الضعيف	ذكر مبادئ الجاهلية	إخباري وصفي، يحمل معنى التقييح والتبشيع	_____

استهل جعفر خطبته بتوجيه ندائي تواصل يوحى بالتعظيم والتبجيل والإقرار بالملك لغرض إنجازي يهدف إلى تقويض ما نقل عنهم من وصف سيء بأنهم مجرد فتية سفهاء، ولتحفيز ذلك لجأ الباحث إلى توظيف فعل إخباري تتضمن بجانب الإخبار معنى التشهير ففضح مبادئ الجاهلية، وكشف سوءاتها؛ وهذا يحمل معنى إيجابياً ضمنياً آخر يهدف إلى التقييح والتبشيع من الجاهلية لتغيير أصحاب الطبائع السوية من مبادئها التي تخالف وتناقض الشرائع الدينية عامة؛ إذ يمكن أن ينجز المتكلم بالفعل القولي نفسه أفعالاً إنجازية مختلفة كثيرة؛ لذلك يتصف الفعل الإنجازي بأنه دور إنجازي لفعل كلامي آخر. (واورزنيك، ٢٠١٠م، صفحة ٢٥).

المحور الثاني: التعريف بالنبي وأخلاقه

يقول جعفر: "فكُنَّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه، وصدّقه، وأمانته، وعفاه" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج١).

جدول 3: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الثاني).

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
فكنا على ذلك...عفاه.	التعريف بالنبي وأخلاقه	إخباري توضيحي، يحمل معنى التشويق	_____

استكمل جعفر خطبته بفعل إخباري تقرير ي مطابق الواقع، ويحمل معنى مباشراً للتعريف بالنبي وأخلاقه، ومعنى غير مباشر يهدف إلى تهيئة المتلقي وتشويقه لمعرفة ما أتى به ذو النسب العالي، والأخلاق الرفيعة؛ وغرضه الإنجازي التمهيد للتعريف بالدين الإسلامي، فالمعرفة بعد التشويق تكون أشد لوصفاً واستقراراً في ذهن المتلقي، فينجز الفعل الكلامي أثره المطلوب.

المحور الثالث: طبيعة الدعوة الإسلامية

تمتد الإخباريات الوصفية في خطبة جعفر لتصف محاسن الإسلام بجمل متضادة مع مساوئ الجاهلية، ومعروف أن بالأضداد تتمايز الأشياء وتعرف، حيث قال: "فدعانا إلى الله لنوحد ونعبده، ونخلع ماكنّا نعبد نحن وأباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام ... فعدد عليه أمور الإسلام" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج١).

جدول 4: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الثالث).

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
دعانا إلى الله... الإسلام	وصف مبادئ الإسلام	إخباري توضيحي، يحمل دلالة التوجيه الأمري	_____

استطاع جعفر بحنكته ومراعاته للمقام أن ينتقي إخباريات موجزة وجامعة لرسالة الإسلام، كما أنه اختار من مبادئه ما يتناسب مع طبيعة النجاشي الدينية ليحقق بها بعداً تأثيرياً إيجابياً على المتلقي، وقد صاغ هذه الإخباريات بجمل صادقة جمعت بين الإخبار الوصفي والتوجيهات الأمرية التي ألقاها إليهم نبي الله من التحلي بالأخلاق الرفيعة، والتخلي عن الأخلاقيات السيئة ليجمع بهما بين المعنى النواة (وصف مبادئ الإسلام)، والمعنى الإدراكي الذهني (أخلاقيات الرسول ﷺ). وتعد هذه الإخباريات بما تحمله من معنى ضمني بمثابة المفتاح الذي يعمل على تحقيق الغرض الإنجازي الأساسي من القضية، وهو لفت انتباه النجاشي إلى النقلة الأخلاقية الذي أحدثها الدين الإسلامي، فإذا ما تم ذلك كان هذا أول السبيل في ضمان تحقيق البعد التأثيري العميق والخفي، وهو دعوة النجاشي إلى الإسلام من خلال إنشاء علاقة تضادية تخاطب عقل المتلقي ليصل بواسطتها إلى الوظيفة الإجمالية الكلية لفعاله الكلامية التي جمعت بين الوصف والإيحاء، فوصف مبادئ الإسلام ومبادئ الجاهلية بصورة توحى بالترغيب والقبول، أو الرفض والنفور.

المحور الرابع: موقفهم من دعوة الرسول

لقد أبان الخطيب بفعل توضيحي يكشف عن موقفهم تجاه ما أمرهم به الرسول ﷺ - فقال: "فصدّقناه وأمّنا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج ١).

جدول 5: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الرابع).

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثري
فصدّقناه ... فلم نشرك به شيئاً	موقفهم من دعوة الرسول ﷺ	إخباري توضيحي إقراري	_____
حرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا	امتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه	إخباري إقراري، يحمل معنى ضمناً التزامياً.	_____

عُود جعفر إلى الابتداء بفعل إخباري مباشر لا يحتمل الغموض وكثرة التأويل والتفسير حتى يكون الموقف واضحاً وبعيداً عن الشك والريب الذي يسمح بالتلاعب وإشاعة التوشية من المترصدين، وقد استمد قوته الإنجازية من اللغة ذاتها، فعبر عن موقفهم تجاه الدعوة بـ (نون المضارعة، ونا الفاعلين) الدالتين على الجمع؛ بقصد التأكيد على إقرارهم جميعاً بوحداية الله، وتصديق رسوله، ثم حفز ذلك بإنجاز إخباري آخر يحمل دلالتين؛ الأولى منهما: دلالة حرفية يقرون فيها بالامتنال لأوامر الله واجتناب نواهيه، والثانية: تحمل معنى غير مباشر يتمثل في الالتزام؛ فالإيمان بالله والتصديق بالنبوة يستدعي من المهاجرين أن يلزموا أنفسهم بالانقياد والخضوع.

المحور الخامس: أخلاقيات قومهم وردة فعل المهاجرين

نظراً لأهمية الأفعال الكلامية وقوتها في تحقيق إنجازات مختلفة أثر جعفر في هذا المحور التنويع بينها؛ ليذكر المأسى الإنسانية التي صنعتها قريش بالمهاجرين من ظلم، وقهر، وتنكيل، وعذاب لأجل فتنهم عن دينهم، وردهم إلى عبادة الأوثان، ثم الإبانة عن موقف المسلمين تجاه ذلك.

يقول جعفر: "فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج ١).

جدول 6: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الخامس).

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
فعدى... عن ديننا أن نستحل... من الخبائث	أخلاقيات قومهم	إخباري وصفي يحمل ضمناً معنى الاستعطاف.	_____
ليردونا إلى عبادة الأوثان.	الإشراك بالله	توجيهي أمري	_____
فلما قهرونا... وبيّن ديننا	التعبير عن حالتهم النفسية	إنجازي تعبيرى	_____
فخرجنا إلى بلادك	الخروج من الوطن	إنجازي إعلاني	_____
اخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك	الرغبة والإيثار	إنجازي إعلاني	_____
ورجونا ألا نظلم عندك	يرجون العدل من الملك	إخباري يحمل ضمناً دلالة الرجاء.	_____
أيها الملك	الإقرار بالملك	توجيهي طلبى ندائى	_____

ولأن الفعل الإخباري يحتل الدرجة الأولى من الأهمية فقد بدأ به جعفر ليصف أخلاقيات قومهم، وسوء معاملتهم، وقد تضمن بجانب الإخبار والوصف قصداً تلميحياً آخر يهدف إلى استعطاف المتلقي، وقد أنجز بقوة عالية لما اشتمل عليه من مؤكدات لغوية من جهة، وصدق المنقول ومطابقتها للواقع من جهة أخرى؛ فالنجاشي بما يتمتع به من مكانة سلطوية بإمكانه أن يتحقق من صدق قولهم ببسر وسهولة.

ثم استعمل الباط توجيهاً مباشراً منبثقاً عن الفعل الإخباري الأول ليحمل دلالة الطلب والإلزام في قوله: "ليردونا"، واستمد قوته الإنجازية من القوة القرشبية وسلطتها، ومما يحمله الفعل من دلالة طلبية؛ بقصد إرغام المهاجرين على عبادة ما لا يضرهم ولا ينفعهم.

ويتبع هذه الأفعال الكلامية فعلٌ تعبيرىٌّ يبوح به المهاجرون على لسان جعفر عن مشاعرهم المنهكة ليصفوا به شدة الألم والحزن الذي انتابهم من ظلم قومهم لهم، وبسبب ذلك أعلن المسلمون خروجهم من أرضهم، و هجرهم لأوطانهم، واللجوء إلى أرض غريبة بتوجيه من رسولهم الكريم؛ بهدف الحصول على الراحة والأمان، فيتمكنوا من ممارسة مناسكهم الدينية بمعزل عن أذية قومهم لهم؛ هذا وقد صرّح جعفر -أيضاً- برغبتهم في المكوث على أرض النجاشي دون غيره لما يتصف به من العدل وحسن الأخلاق.

ولتحقيق هذه الرغبة كان لزاماً على الباحث مراعاة مقام المتلقي ومكانته السلطوية؛ لذلك وجه الخطيب فعلاً كلامياً خرج من الإخبار إلى الرجاء؛ وهذا الرجاء يحوي في مضمونه معنى الاستنجا، فهم يستجدون بحاكم عادل يروونه محط آمالهم، ومبلغ غاياتهم، راجيين من الله ﷻ ألا يخيب أملهم فيه، وتكمن قوته الإنجازية في المنفعة العائدة إلى المهاجرين، ثم ختم جعفر خطبته بالتوجيه الندائي ذاته الذي افتتح به حديثه: "أيها الملك"؛ لتوكيد معنى الفعل التداولي الأولي وهو التعظيم للملك، والإقرار بالملك، فيدفع بذلك أي ريب أو شك قد يخالغ نفس النجاشي من كونهم خطراً يهدد أمن الدولة واستقرارها. وتحمل هذه المتواليّة قصداً تلميحياً آخر يهدف إلى إبراز شخصية المسلمين المهاجرين في تقديم تضحيات عظيمة إزاء عقيدتهم ودينهم ليكشف عن إثارهم للحياة الأخروية الأبدية على الحياة الدنيوية الفانية، وتبرز قوتها الإنجازية في الضمير الدال على الجمع؛ والذي أحال إلى جماعة غير قليلة أقرت بوحدانية الله ﷻ، وصدقت بنبوّة محمد ﷺ، فتعرضت للتعذيب والأذى والظلم والقهر من قبل المشركين.

هكذا تتأزر الأفعال الكلامية وتتحد لتحقيق أغراضاً وأبعاداً إنجازية مختلفة تهدف جميعها إلى إقناع المتلقي، ومن ثم الوصول إلى البعد التأثيري لتحقيق مقاصدهم المنشودة؛ ولكن يبقى السؤال المهم وهو: هل نجحت الأفعال الكلامية الجعفرية في تحقيق البعد التأثيري الذي يرمي إليه؟

المحور السادس: ردة فعل النجاشي

من الملاحظ أن جعفرًا اتكأ كثيراً على استعمال الأفعال الكلامية الإخبارية دون غيرها؛ لما تحمله من قوة إنجازية عالية تبرز حين يكون النقل صادقاً أميناً، وهذا متحقق بالفعل، فهو على اعتقاد شديد ويقين قوي بصدق الرسول -ﷺ- من جانب، وصحة العقيدة الإسلامية من جانب آخر، فكلما كان الخبر صادقاً ومطابقاً للواقع كانت قوته الإنجازية أعلى وذات تأثير أقوى؛ بيد أن هذا وحده لا يكفي؛ فالإخباريات تشترط "حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد المحتوى القضوي" (الطبطبائي، ١٩٩٤، صفحة ٣٠)، وهذه البراهين لم تكن غائبة عن ذهن الخطيب، فقد شرع بصياغة البراهين العقلية والمنطقية بإنشاء مقارنة بين مبادئ الجاهلية ومبادئ الإسلام بصورة متضادة صبها في قالب موجز ومحكم، يتسم بالبلاغة والفصاحة؛ لاستمالة المتلقي وإقناعه؛ ولكن المتلقي لم يكتف بذلك؛ بل توجه بفعل كلامي استفهامي بصيغة مباشرة لطلب الحصول على برهان ديني، فكان الجواب حاضرًا من المتلقي، كما كان الاختيار موفقاً غاية التوفيق، ويتضح ذلك في الحوار الآتي:

قال النجاشي: "هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟... فقال جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: فاقرأه علي؛ فقرأ عليه صدرًا من "كَهَيْعَص" أول سورة مريم (هشام، ١٩٩٠م، الصفحات ٣٦٢-ج١).

جدول 7: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور السادس).

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟	طلب الحصول على برهان ديني	توجيهي طلبي استفهامي	_____
نعم	الموافقة	إخباري إقارري	_____
فاقرأه عليّ	قراءة ما تيسر من القرآن	توجيهي طلبي أمري	_____
فقرأ عليه صدرًا من كهيعص	تلوة صدرًا من سورة مريم	إخباري تقريري	فبكى والله النجاشي، وبكت أساقفته

من الجدول أعلاه تتجلى القوة الإنجازية السلطوية في التوجيه الأمرى المباشر إلى جعفر بقراءة ما تيسر من الكتاب المقدس، ويتضح مراعاة السياق الموقفي في اختيار السورة القرآنية، فاختر الخطيب سورة مريم؛ لأنها تعد دليلًا مشتركًا بين الدين المسيحي والدين الإسلامي، فتصبح أشد وقعًا على نفوس المتلقين؛ مما يفرضي إلى إنجاز الفعل التأثيري المقصود، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ظهر أثرها بشكل فوري ومباشر على النجاشي وأساقفته؛ ففي حكاية أم سلمة تقول: "فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٢/ج١).

إن القوة الإنجازية لتلاوة الآيات الأولى من سورة مريم حققت إنجازًا تأثيريًا مرئيًا يتمثل في بكاء النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكاء أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم، وقوة أثرها ينبع من غرضها الإنجازي؛ فهي تتضمن بيان جملة من الحقائق الموجودة في رسالة عيسى، فلامست هذه التلاوة المباركة قلوبهم وعقولهم؛ مما دعا النجاشي إلى إنجاز فعل تقريرى توكيدي فحواه أن ما ورد في الدين الإسلامي والدين المسيحي من تشريعات ومبادئ ينبثق من مشكاة واحدة، فأنجز فعل التأثير بقوة بالغة جعلت المتلقي يصدر فعلاً توجيهياً أمرياً يتناسب مع الموقف في قوله: (فانطلقا)، وقد خرج من معناه المألوف إلى معنى آخر غير مباشر يوحي بمنح الأمان للمهاجرين، فاستقى قوته الإنجازية من سلطة الباث ومكانته، وغرضه السماح للمهاجرين بمجاورته والبقاء على أرضه، وممارسة شعائرهم الدينية بحرية وأمان، وهذا يعلن عن نتيجة ضمنية مفادها ضم النجاشي إلى صفهم.

ثم أصدر الباث (النجاشي) فعلاً تقريرياً آخر بجمل منفية لتأكيد رفضه وعدم إنجازه لفعل التسليم، وقد برزت قوته الإنجازية من خلال القسم في قوله: (فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون)، ورفض إنجاز الفعل - هنا- مبني على نجاح الأفعال الجعفرية الكلامية المحققة للشروط التداولية، بخلاف الرفض المسبق الذي كان هدفه التحقق من مصداقية الأفعال الإخبارية لرسولي قريش، ورغبة النجاشي الصادقة في تتبع الحق ومحاولة إظهاره.

وبهذا يتضح أن رسولي قريش اعتمدا بالدرجة الأولى في تحقيق هدفهم على التأثير المادي، ومعرفتهم السابقة بالنجاشي، فتلاشت قدرتهما على الحوار الكلامي، وما ورد عنهم من أفعال كلامية اتسمت بالخداع والمرآغة وعدم الصدق؛ مما أدى إلى إخفاق الإنجاز، وضعف قواه التأثيرية؛ في مقابل ذلك نجد أن المهاجرين المسلمين اعتمدوا في تحقيق هدفهم بالدرجة الأولى على قوة الأفعال الكلامية مع تحري الصدق، والنقل الأمين، ومراعاة المقام، فمعرفة جعفر بأحوال النجاشي وطبيعته مكنته من صوغ خطبة تتناسب مع طبيعة النجاشي وأحواله، فنجح في تحقيق البعد الإنجازي التأثيري المباشر وغير المباشر؛ كتقويض مؤامرة قريش، والحصول على الأمان، ودعوة النجاشي إلى الإسلام؛ مما أفضى إلى تحقيق مرامهم وجعل الموقف في صالحهم.

□ البنية الحوارية الثالثة: رسولا قريش (عمرو بن العاص، عبدالله بن أبي ربيعة)

لما نجح المهاجرون المسلمون في التأثير على النجاشي أحس عمرو بن العاص بالغلبة، فقرر خلق مكيدة أخرى لهدم مقاصدهم، وتقويض نجاحهم.

تقول أم سلمة: " فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأتبيئه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم ، فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجل فينا: " لا تفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال: والله لأخبرته أنهم يزعمون أنّ عيسى ابن مريم عبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه " (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٣/ج١)؛ والجدول الآتي يفصل الأفعال الكلامية:

جدول 8: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثالثة.

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري
والله لأتبيئه غداً... خضراءهم	محاولة النيل من المهاجرين.	التزامي وعدي	الإحساس بالغلبة
لا تفعل	نهى عمرو من الإقدام على ما يريد	توجيهي طلبي للنهي	_____
إن لهم أرحاماً وإن كانوا خالفونا	التذكير بصلة القربى	إخباري، خرج من الإخبار إلى التذكير	_____
والله لأخبرنه... عبد	معتقد المسلمين في عيسى	إخباري تقريري يحوي معنى ضمناً بالوعد والتهديد	_____
أيها الملك	تنبيه المتلقي	توجيهي طلبي ندائي	_____

_____	إخباري توضيحي، خرج إلى معنى الإثارة والتحريض	إخبار النجاشي بمعتقد المسلمين في عيسى	إنهم يقولون... عظيمًا
فأرسل رسوله	توجيهي أمري، خرج من الأمر إلى النداء	التأكد من صحة قولهم	فأرسل ... فسلهم

تُجلى هذه البنية الحوارية البعد النفسي للمرائي عمرو وما يضمرة من حقد على المسلمين، فعندما أحس بالغلبة أنجز فعلاً إخبارياً يحمل بجانب الإخبار معنى الوعد وفيه يلزم نفسه بأن يعيد ما فقدته من هزيمة، وهذا الوعد ذو طبيعة سلبية يحوي في مضمونه معنى التهديد، وقد أنجز ذلك بأسلوب قوي مليء بالقهر، والانفعال، والغضب، ومؤكّد بالقسم؛ بهدف النيل من المهاجرين والانتقام منهم؛ ولكن عبد الله بن أبي ربيعة كان أقلّ حقدًا منه، فقد أبى ذلك ورفض بصيغة كلامية مباشرة تحمل معنى النهي (لا تفعل)، وغرضه طلب الكف عن الانتقام على سبيل الالتماس. ولتقوية إنجاز الفعل تبعه بفعل إخباري خرج من الإخبار إلى التذكير؛ فأخذ يذكر المرائي بصلة القربى التي تجمع بينهم، وهذا التذكير يحمل في طياته بعداً تأثيرياً يهدف إلى إطفاء غضب عمرو، ومحاولة تهدئته؛ والذي يتضح أن البعد التأثيري الذي قصده عبد الله بن أبي ربيعة لم يحظ بالنجاح بل دليل إصرار عمرو على موقفه، وقد أنجز ذلك بقوة عالية مستوحاة من القسم والتوكيد بان، وغرضه الإنجازي التشكيك في مصداقية الدين الإسلامي، وإيقاع المهاجرين في دائرة الخلاف مع النجاشي.

فلما غدا عليه الغد دخل المرائي على النجاشي واستفتح كلامه بنداء يلفت فيه انتباه المتلقي ليمهد بواسطته إنجاز فعله الإخباري المؤكّد ب(إن)؛ لضمان تحقيق قوة إنجازية عالية، ومن ثم يحدث الفعل الكلامي أثره المطلوب، وقد تضمن بجانب الإخبار قصداً آخر غير مباشر يتمثل في إثارة مسألة معتقد المسلمين في عيسى، وهذا يستدعي فعلاً توجيهياً طلبياً من المتكلم للتأثير على السامع حتى يلبي له ما يريد، فصدر هذا الأمر من الأدنى إلى الأعلى، وخرج من الأمر إلى الرجاء، فهم يرجون ذلك للحصول على فرصة أخرى تمكّنهم من هزيمة المهاجرين، ومن ثمّ ينجزون هدفهم الأساسي الذي جاؤوا من أجله، وهو ردّ المهاجرين المسلمين إلى مكة.

□ البنية الحوارية الرابعة: النجاشي وجعفر

جاءت هذه البنية الحوارية بسبب تحريض عمرو للنجاشي، فبعدما أرسل النجاشي رسوله إلى المهاجرين المسلمين لاستدعائهم وسؤالهم تشاورا فيما بينهم كعادتهم على ما سيقولونه في عيسى عليه السلام، فقرروا ألا يقولوا إلا ما قال الله ورسوله كائناً في ذلك ما هو كائن، وهذا يوحى بقوة توكلهم على الله، وصلابتهم في معتنقهم، وتقديم هذا المعتنق بلا مdahنة أو تحدٍ (هاني، ١٤٣٣-٢٠٢١، صفحة ٥٣) فالتشاور الدائم بين المهاجرين أضعف قوة إنجازية على خطابهم، بعكس ما حصل بين رسولي قريش، فقد رفض عبدالله المكيدة الذي خطط لها عمرو؛

ولكن هذا الأخير لم يصغ إليه، فضعت أفعالهم الكلامية، وأخفقت للمرة الثانية، ويتجلى ذلك في المناظرة الآتية:

قال النجاشي للمهاجرين: " ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. قالت: فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شئوكم بأرضي - والشيوم: الأمنون - من سبكم عُرم، ثم قال: من سبكم عُرم، ثم قال: من سبكم عُرم، ما أحب أن لي دبرًا من ذهب، وأني أدبث رجلاً منكم - قال ابن هشام: ويقال دبري من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم والدبر (بلسان الحبشة): الجبل- رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليّ ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار" (هشام، ١٩٩٠م، صفحة ٣٦٣/ج١)، وبناء على ما سبق فقد وردت الأفعال الكلامية بشكل متداخل بأنواع متغايرة يفصلها الجدول الآتي:

جدول 9: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الرابعة.

الفعل القولي	الفعل القضوي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثري
ما تقولون في عيسى ابن مريم؟	طلب معرفة معتقد المهاجرين في عيسى	توجيهي طلب استفهامي	_____
نقول فيه ... هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته.. البتول"	إقرارهم بوحداية الله، وإيمانهم برسالة عيسى، ويقينهم بطهر مريم	إخباري تقريري	فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا
والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود	الإقرار، والتصديق وإعلان ال...	إخباري تقريري يحمل معنى ضمنيًا إعلانيًا	فتناخرت بطارقه
وإن نخرتم والله	الإصرار على موقفه	إخباري تقريري يحمل معنى التوبيخ	_____
اذهبوا	السماح للمهاجرين بالبقاء على أرضه	توجيهي أمري يحمل ضمنيًا معنى الوعد.	_____

_____	إنجازي إعلاني	ضمان الأمان للمهاجرين في دولته.	فأنتم شئوكم بأرضي
_____	التزامي تهديدي	توفير الراحة وعدم المضايقة	من سبكم غرم
_____	إخباري توضيحي	إيثار توفير الأمان للمهاجرين على المال	ما أجب أن لي دبرًا من ذهب، وأني أذيتُ رجلاً منكم
فخرجا مقبوحين	توجيهي طلبي أمري	إرجاع الهدايا إلى رسولي قريش	ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها
_____	إخباري خرج إلى النصح والإرشاد	تحري العدل وتأدية الأمانة	فوالله ما أخذ... أطيعهم فيه.

تحمل هذه البنية الحوارية متوالية من الأفعال الكلامية، أولها توجيه سلطوي استفهامي مباشر يهدف إلى طلب معرفة معتقد المسلمين في عيسى ليأتي الجواب التقريري من جعفر بأنه عبدالله ورسوله، نفخ الله فيه من روحه كما نفخ في سيدنا آدم من قبل، فحملت به مريم العذراء ووضعته بقدره من الله، فتأثر النجاشي بهذا القول تأثرًا شديدًا، فما ذكره جعفر فيه رد للأقاويل ونفي للافتراءات التي نسبها اليهود إلى مريم آنذاك، وقد جاء ذلك متفقًا مع معتقدهم ويقينهم الصادق بطهر مريم العذراء، فضرب النجاشي الأرض بيده وأخذ منها عودًا ليرسم به مشهدًا تمثيليًا يوضح من خلاله أن عيسى لا يزيد عن مقدار وزن هذا العود، ولا يزيد بشيء على ما ذكر جعفر. وإذا ما بحثنا عن المعنى غير المباشر نجد أنه يتضمن بجانب الإخبار معنى الإعلان، فقد أقر بأسلوب ضمنى بوحدانية الله تعالى ونفي الألوهية عن عيسى، وهذا يعلن عن اعتناقه للدين الإسلامي، ويكمن نجاح هذا الإعلان بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية دينية عملت على إحداث التغيير المطلوب، كما أنه ارتبط بعلاقة التحفيز والتأكيد للفعل الكلامي الإخباري السابق، وهو أن العقيدة الإسلامية والعقيدة المسيحية منبثقتان من مشكاة واحدة، وبهذا يكون جعفر قد استطاع بمهارة عالية أن يكسر الطوق الذي أحكمه عمرو في أن قريشًا والنجاشي تحت راية واحدة؛ ليؤكد بمتوالية أفعاله الكلامية أن النجاشي والمهاجرين هم تحت راية واحدة هي راية التوحيد (غضبان، ١٩٩٢، صفحة ٢٤٨).

بيد أن بطارفته لم يرتضوا اعتناقه لهذا الاعتقاد، ففي حكاية أم سلمة عبروا عن اعتراضهم هذا بصوت انفعالي يوحى بالغضب والرفض؛ ولكن النجاشي بحكم مكانته السلطوية لم يبال بذلك، وأصر على موقفه بإخبار يحمل معنى التوبيخ، وقد استقى قوته الإنجازية مما تحمله اللغة من أساليب وأدوات؛ كالقسم وإن في قوله: "وإن

نخرتم والله؛" فأنجز فعلاً أمرياً خرج من معناه الحرفي إلى معنى الإعلان ليعلن بواسطته عن السماح ببقاء المهاجرين على أرضه مطمئنين آمنين - (أذهبوا فأنتم سيوم في أرضي) - ، وقد حقق هذا الفعل نجاحاً لاستناده على مؤسسة غير لغوية تتمثل في أرض الحبشة، ولتعصيد هذا الإنجاز أتبعه الباث بفعل التزامي تهديدي لكل من يتعرض للمهاجرين بسبب، أو شتم، أو أذية، وهذا يحوي في مضمونه وعداً بتوفير الراحة للمهاجرين وعدم مضايقتهم. وتبرز القوة الإنجازية للفعل التهديدي وما انبثق عنه من المكانة السلطوية للمتكلم، وتكرار التركيب اللغوي، وانعدام النفعية للسامعين المخالفين له كرسولي قريش وبطارقته.

ولم يكتفِ النجاشي بذلك؛ بل أنجز فعلاً إخبارياً توضيحياً يستمد قوته الإنجازية من القسم والتوكيد، وفيه يوضح مقدار بغضه للمال لو أنه أدى أحداً من المهاجرين المسلمين الملتجئين، وهذا بالطبع سيقوده إلى إصدار فعل سلطوي أمرى يؤكد فعله الإخباري ويقويه، فأمر بإعادة الرّشوة المادية إلى قريش، وإنهاء المعركة الكلامية لصالح المهاجرين، ومسوّغه في ذلك أن الله لم يأخذ منه الرّشوة حين ردّ عليه ملكه من بني عمومته، ولم يسخر الناس لطاعته حتى يطيعهم فيما يغضب الله؛ وهذا الإخبار خرج إلى معنى توجيهي غير مباشر يتمثل في النصح والإرشاد، فالنجاشي يوجّه رسالة ضمنية وهي ما يجب أن يدركه الحاكم تجاه حكمه بأن هذا الحكم ما هو إلا أمانة ربانية، وتكليف ألهي مسؤولٌ عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون، فينبغي على كل حاكم استنثار تلك المسؤولية وعدم الاستهانة بها.

هذا وقد أفضت متواليّة الأفعال الكلامية إلى إنجاز فعل تأثيري يعبر ويبوح على لسان أم سلمة عن الحالة النفسية لرسولي قريش بعد هزيمتهما، فخرجا مقبوحين، مقهورين، مهزومين، مكسورين، وهذا يعلن عن فشل الخطط القرشية الذي قاد إلى نجاح الدعوة الإسلامية، واتساع رقعتها، فقد مثلّ إسلام النجاشي انتصاراً عظيماً، ومكسباً ثميناً، حقق فوائد جليّة للإسلام والمسلمين.

وجملة القول أنه على الرغم من اختلاف الأفعال الكلامية وتباين أغراضها الإنجازية ومضامينها القضائية في البنية الخطابية ككل؛ إلا أنها ترمي إلى إنجاز فعل كلامي شامل ومتمم لجميع الأفعال الكلامية المنجزة؛ والمتعلق بلب الموضوع وأساسه، وقد اختص هذا الفعل بالذات المحورية السلطوية المحركة لمجريات الأحداث؛ والمتمثل في تسليم المهاجرين إلى قريش أو رفض ذلك، وامتاز هذا الفعل عن سلسلة الأفعال الأخرى بحرية الاختيار في الإنجاز، ومرد ذلك إلى المكانة السلطوية التي يتمتع بها المنجز.

وقد أبانت سلسلة الأفعال الكلامية للذات المحورية أنه تتبع متواليّة الأفعال اللغوية الجعفرية والقرشية، بتروّ، وتمهل، وحكمة، وعدل، وإخلاص مكنته من ضبط القضية وإحكامها، ومن ثم إنجاز فعله الكلامي بنجاح تام دون إحداث أبعادٍ تأثيرية سلبية تظلم أحد الأطراف المتحاوره.

الخاتمة و أبرز النتائج:

بعد دراسة الأفعال الكلامية في الخطاب الحوارى لجعفر والنجاشي بصورة نصية تداولية توصل البحث إلى جملة من النتائج أبرزها:

١ - تعمل الأفعال الكلامية بصورة متأزرة ومتضافرة لضمان إنجاح الوظيفة التواصلية الإجمالية في النص.

٢- ارتبط الفعل الكلامي الأساسي بلب الموضوع وجوهره؛ فجاء مختصاً بالذات المحورية السلطوية المحركة لمجريات الأحداث؛ والمتمثل في تسليم المهاجرين إلى قريش أو رفض ذلك.

٣- يتجلى الغرض الإنجازي العام للخطاب ككل في رغبة النجاشي الصادقة في إعلاء صوت الحق، وإزالة صوت الباطل.

٤- امتازت الأفعال الكلامية الجعفرية بالصدق، والإخلاص، والأمانة في النقل، فنجحت فعالة اللغوية المباشرة والضمنية في إنجاز فعالة التأثيرية الظاهرة والخفية التي تجلت في سياق الخطاب.

٥- اتسمت الأفعال الكلامية القرشية بالكيد، والتقليل من الآخرين، وعدم الإخلاص، فضعفت قواها التأثيرية، وفشلت في إنجاز مقاصدهم المنشودة.

٦- ارتكزت جُل الإنجازات الجعفرية على الإخباريات غير المباشرة ليتمكن بواسطتها من تحقيق البعد التأثيري الضمني المقصود، وهو دعوة النجاشي ومن معه إلى الإسلام.

٧- ارتكزت جُل الأفعال الكلامية للنجاشي على التوجيهات الطلبية المباشرة التي لا تحتل الغموض وكثرة التأويل؛ وهذا ما يستدعيه المقام السلطوي؛ مما يعمل على تحقيق البعد الإنجازي المطلوب من المتلقي بصورة سليمة خالية من الزلل والخطأ.

٨- كشفت سلسلة الأفعال الكلامية الجعفرية عن تماسك المهاجرين المسلمين وثباتهم في الدفاع عن دينهم وأنفسهم.

٩- يرجع ضعف القوة التأثيرية في الأفعال الكلامية القرشية إلى قلتها، وعدم فعاليتها في الحوار من جهة، واعتمادهم على التأثير المادي، ومعرفتهم الخلفية بالنجاشي من جهة أخرى.

المصادر و المراجع:

- (1) أدواري العياش. (٢٠١١م). الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى. الرباط: دار الأمان.
- (2) أرمينكو فرانسواز. (١٤٣١هـ). المقاربة التداولية (سعيد علوش، المترجمون). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- (3) أوستين جون. (١٩٩١م). نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات (عبدالقادر قيني، المترجمون). م.ن: أفريقيا الشرق.
- (4) بلانشيه فيليب. (٢٠٠٧م). التداولية من أوستن إلى غوفمان (صابر الحباشنة، المترجمون، المجلد ١). اللاذقية: دار الحوار.
- (5) بلخير عمر. (٢٠١٣م). تحليل الخطاب المسرحى فى ضوء النظرية التداولية (المجلد ٢). تيزي وزو: دار الأمل.
- (6) بلخير عمر. (٢٠٠٧م). نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث. مجلة الأثر، العدد الخاص.
- (7) بوخشة خديجة. (2020م). أفعال الكلام فى شعر رمضان محمود. حوليات التراث، ع20.
- (8) بوقرة نعمان. (٢٠٠٩م). اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- (9) بوقرة نعمان. (٢٠٠٣م). المدارس اللسانية المعاصرة. القاهرة: مكتبة الآداب.
- (10) توماس جيني. (1431هـ). المعنى فى لغة الحوار مدخل إلى البراجماتية التداولية (نازك إبراهيم عبدالفتاح، المترجمون، المجلد ١). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الزهراء.
- (11) الجيلاى دلاش. (بلا تاريخ). مدخل إلى اللسانيات التداولية (محمد يحياتين، المترجمون). الجزائر: ديوان المطبوعات.
- (12) سيرل جون. (٢٠١١م). العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة فى العالم الواقعى. القاهرة: المركز القومى للترجمة.
- (13) الشهرى عبدالهاده. (٢٠٠٣م). استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية. بنغازى: دار الكتاب الجديد.
- (14) صحراوى مسعود. (2005م). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى. بيروت: دار الطليعة.
- (15) الصراف على. (٢٠١٠م). فى البراجماتية، الأفعال الإنجازية المعاصرة. القاهرة: مكتبة الآداب.
- (16) صكوحى كورنيليا. (٢٠٠٨م). مقالات فى تحليل الخطاب. تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة.

- (17) الطبطبائي طالب. (١٩٩٤م). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت .
- (18) عبدالحق صالح. (١٩٩٣م). التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد. بيروت: دار التنوير.
- (19) عبد الرحمن طه. (٢٠٠٠م). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- (20) عيَّاشي منذر. (٢٠٠٤م). العلاماتية وعلم النص (المجلد ١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- (21) غضبان منير. (١٩٩٢م). فقه السيرة النبوية (المجلد ٢). مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- (22) قدور خلوفي. (٢٠١٤هـ-٢٠١٥م). مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، سورة الكهف أنموذجاً (أطروحة دكتوراه). الجزائر : جامعة وهران، كلية اللغات والآداب والفنون.
- (23) قياس ليندة. (٢٠٠٩م). لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً. القاهرة: مكتبة الآداب.
- (24) كريم زبيبه. (٢٠١١م). اللغة والفعل الكلامي والاتصال. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- (25) لانج جوتس. (٢٠١٢م). مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي. القاهرة: زهراء الشرق.
- (26) المبخوت شكري. (٢٠١٠م). دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، (المجلد ١). بيروت: الكتاب الجديد.
- (27) موشلار جاك ، روبول أن. (٢٠٠٣م). التداولية اليوم علم جديد في التواصل (سيف الدين دغفوس، و محمد الشيباني، المترجمون). بيروت: دار الطليعة.
- (28) النجار نادية. (٢٠١٣م). الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي. القاهرة: حورس الدولية للنشر والتوزيع.
- (29) نحلة محمود. (٢٠٠٢م). آفاق جديدة في البحث اللغوي عند العرب. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- (30) هاني محمد. (١٤٣٣هـ-٢٠٢١م). خطاب جعفر بن أبي طالب للنجاشي في أحداث الهجرة الثانية إلى الحبشة مقارنة تداولية حاجية. حولية كلية اللغة العربية، ع ٢٥.
- (31) هشام عبد الملك. (١٩٩٠م). السيرة النبوية لابن هشام. عمر عبدالسلام تدمري (المحررون)، دار الكتاب العربي.
- (32) واورزنيك زتسيسلاف. (٢٠١٠م). مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص. القاهرة: مؤسسة المختار.
- (33) يول جورج. (٢٠١٠م). التداولية (قصي العتايي، المترجمون). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

قائمة الجداول:

- 10 جدول 1: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الأولى
- 13 جدول 2: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الأول).
- 13 جدول 3: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الثاني).
- 14 جدول 4: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الثالث).
- 15 جدول 5: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الرابع).
- 16 جدول 6: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور الخامس).
- 18 جدول 7: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثانية (المحور السادس).
- 19 جدول 8: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الثالثة.
- 21 جدول 9: تحليل الأفعال الكلامية للبنية الحوارية الرابعة.